

انتصارات إسلامية

## «فتح أنطاكية».. عبقرية بيبرس

حدث هذا اليوم سطرته أسطورة من أساطير الأبطال، الذين تغنت بسيرتهم حتى أقاصيص قبل النوم التي تروىها الجدات لأحفادهن، وتزينت بعيق بطولاته مقاهي دمشق والقاهرة على السنة «الحكواتيين»، إنه الملك الذي أبدع في السلم إبداعه في الحرب، فأنشأ اتحاداً بين اثنين من أعظم أقاليم الإسلام هما الشام ومصر، قائمة لا نظير لها في الحكم والسياسة، لم تأت السلطة على طبق من ذهب، بل تسلم زمام الحكم والمسلمون في أشد محنتهم وضعفهم، فبلغ بهم أعلى ذرى المجد والتمكين، وتغلب على أعظم عساقين عاثا في بلاد الإسلام فساداً هما المغول والصليبيون، وأبى إلا أن يسطر اسمه في صفحات التاريخ المشرفة.

تمكن الملك الظاهر ركن الدين بيبرس في مثل هذا اليوم من شهر رمضان من عام 666هـ من الانتصار على الفرنجة في أنطاكية بعد بسط سيطرته على الدولة المملوكية في مصر. ففتح أنطاكية في عهد الخلافة الراشدة أيام عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، فكانت من المدن التي دخلها نور الإسلام وحضارته باكراً، وبقيت تتقيا ظلال الحكم الإسلامي حتى سقطت سنة 491 للهجرة في أيدي الصليبيين، وكان الصليبيون راغبين في دخولها لبالغ أهميتها، وذلك بحكم موقعها وكونها صلة وصل بين الشام وبلاد الروم، عدا عن أهميتها الدينية عندهم. أزال الصليبيون كل الآثار الإسلامية التي فيها، حتى أنهم



حولوا مساجدها الى كنائس، وكان حاكمها الصليبي أشد الحكام أذى للمسلمين، حيث وجدوا منه من الأذى ما لم يجودوه من قبل، واهتموا بتحسينها غاية الاهتمام، حتى بنوا عليها سوراً طوله اثنا عشر ميلاً، وعلى هذا السور ما يقارب مئة وستة وثلاثين برجاً، وفي هذه الأبراج أربعة وعشرون ألف شرفة، فعدت من أعظم المدن في ذلك الحين منعة وتحصناً.

توحيد وتخطيط ففتح

بقيت أنطاكية مستحرة من الصليبيين نحو مئة وسبعين سنة، وكان الله تعالى قد هيا

لها رجالاً من أعظم القادة، هو الظاهر بيبرس، الذي تجهز لاستعادة ما سلبه الصليبيون من بلاد المسلمين، ومهد الطريق للتوجه الى أنطاكية بأن فتح كل المدن التي في طريقه إليها، فعمل على عزلها عما جاورها من المدن وقطع عنها الإمدادات. خرج ركن الدين بجيشه من مصر الى فلسطين، وكانت المعاهدة مع الحاكم الصليبي في يافا قد انتهت، ولم تجد، وظن الصليبيون أنه أمير كغيره من الأمراء الذين يتنازلون عن كل شيء في سبيل مصالحهم الشخصية، لم يعلموا أنهم أمام عبقرية من عباقرة التاريخ

وقامة من القامات العسكرية التي قل لها نظير. ففتح يافا، وفتحها طرابلس، ثم توجه الى أنطاكية. وصل ركن الدين بجيوشه إليها في مستهل رمضان 666 هـ، وهناك قسم جيوشه الى ثلاث فرق وزعها حول المدينة ليحكم حصارها ويمنع وصول المدد إليها من البر والبحر. ولم يستطع الصليبيون المقاومة، بسبب شدة الحصار وقوة المهاجمين، ففتحت المدينة وتمكنت جيوش بيبرس من دخولها. وجاء في كتاب «الوطن العربي والغزو الصليبي»: «224: «وقد كان سقوط تلك الإمارة الصليبية

بلاد في القرآن

ذكرها القرآن مرة واحدة

## بابل.. مدينة علمت الناس السحر

بعضهم وسيوه وظلوا يسبونه حتى أنزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم «واتبعوا ما تتلو الشياطين».

من القصص

ويضيف د.زنتاسي: من تدبرنا لما جاء في سورة البقرة وما جاء في قصة داود وسليمان عليههما السلام نستنتج أن نبي الله سليمان عليه السلام هو من أنبياء بني إسرائيل، ورت أباه داود عليه السلام في الحكم، فكان ملكاً على بيت المقدس، وعاش عليه السلام في القرن التاسع قبل الميلاد فأبوه داود عليه السلام كان جندياً في جيش طالوت، وطالوت هو ملك بني إسرائيل، واستطاع داود أن يجمع شمل قبائل بني إسرائيل، ويوحدهم تحت رايته بحدود عام 1040 قبل الميلاد، ليسترد لهم حقيقتهم من الفيلسطينيين الذين تمكنوا من هزيمتهم في إحدى المعارك شر هزيمة. ذاعت شهرة داود عليه السلام بين بني إسرائيل وعند ملكهم طالوت بعدما تمكن من قتل جالوت في مبارزة عجز عنها بنو إسرائيل كافة. ثم أصبح داود عليه السلام ملكاً على بني إسرائيل وعمره 30 عاماً وحكم مدة 40 عاماً، ومن خلال هذه الأحداث يتبين لنا أن داود عليه السلام أصبح ملكاً على بني إسرائيل بعد عام 1040 قبل الميلاد بسنوات معدودة وما دام حكمه قد استمر أربعين عاماً، فهذا يكون عهد سليمان عليه السلام في حدود النصف الثاني من القرن العاشر للألف الأولى قبل الميلاد، أي بحدود 1000 - 950 قبل الميلاد.

بعضاً بدرج واسع، وعندما يأتي الربيع وتزهر وتورق الأشجار والورود في هذه الارتفاعات في وسط أجواء الحرارة العالية تكون هذه الحداثق جنة في الأرض تنشر الرائحة العطرة والبرودة. ووضع البابليون قوانين لعلم السحر والشعوذة التي كانت له مكانة لدى أهل بابل والشرق في العصور القديمة، وكان رجال الكهنوت أعلى مكانة من رجال الدين، فكانوا يقيمون طقوساً خاصة بذلك، وكانت الشياطين تلعب دوراً بارزاً في السحر حتى إن الساحر كان يقارع الشياطين الشريرة الضارة، واستخدم البابليون السحر في الطب وشفاء الأمراض.

وفي سبب تسميتها اختلف المفسرون والعلماء، قيل إن كلمة بابل تعني باب الإله، وصارت بابل بعد سقوط السوريين قاعدة إمبراطورية بابل، وقد أنشأها حمورابي المشرع الأول في التاريخ الإنساني، وامتدت من الخليج العربي جنوباً إلى نهر دجلة شمالاً، واستمر حكم حمورابي 34 عاماً ازدهرت فيها الحضارات البابلية حتى صار عصره أزهى عصور العراق، وقد سماها الأقدمون أسماء عدة، منها بابلونيا، وتعني أرض بابل ما بين النهرين، وبلاد الرافدين.

وفي تفسير ابن كثير قيل: إن الجن كان يكتب كل شيء بأمر سليمان ويدفنه تحت كرسية، فلما مات سليمان أخرجته الشياطين فكتبوا بين كل سطرين سحراً وكفراً، وقالوا هذا الذي كان سليمان يعمل به، فكفر

قال الله تعالى في كتابه الكريم: «واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت»، «البقرة 102»، وعلى الرغم من تعدد أسماء بابل في الكثير من بلاد الغرب والشرق فقد أجمع المؤرخون على أن بابل المذكورة في القرآن الكريم موجودة في العراق، ولا توجد في بلاد المغرب أو المشرق مدينة تحتوي على معالم تؤكد أنها المقصودة بما جاء في القرآن الكريم سوى بابل العراق.

ويقول د.محمد زنتاسي -المعيد الأسبق لكلية الدراسات الإسلامية بالأزهر- بابل مدينة تقع على نهر الفرات، وتقترب من أضيح منطقة يتقارب فيها نهر دجلة والفرات، وهي إحدى عجائب الدنيا السبع، وأعظم ما في المدينة الحداثق المعلقة. وسميت معلقة لأنها تمت على شرفيات القصور حوالي عام 600 ق. م»، وشيها نوحذ أخيه، فذبحوه أمام عينيه وهو يبصر أجل. انطلق عبدالرحمن يصل الليل والنهار قطعاً الصحارى المهلكة في رحلة معجوبة بالتعب والمشاق التي تنقطع فيها أعناق سفن الصحراء، لقد سار عبدالرحمن من العراق إلى الشام، ومن الشام إلى مصر، ومن مصر إلى طرابلس الغرب، ومن طرابلس إلى تونس، ومن تونس إلى الجزائر، ومن الجزائر إلى أقصى المغرب، وليس معه إلا غلامه بدر، وعزيمة لا تقال عن الجبال الراسيات رسوخاً وثباتاً، ليعبر البحر إلى الأندلس، وكل ذلك وهو ضعيف مطارد أعزل، ومريض أيضاً.

وفي البداية كانت عبارة عن طبقات تصلح لمختلف النباتات والأشجار، والماء يرفع ويخزن في الطبقات العليا بصهاريج لسقاية الأشجار.

طبقات

وتتصل الطبقات مع بعضها



مدينة بابل قبل الاندثار

كتبة الوحي

## أحد الأنصار الخمسة جامعي القرآن أبو أيوب شيخ الفاتحين وجار الرسول



• ضريح أبو أيوب الأنصاري

الصحابي أبو أيوب الأنصاري رفع الله تعالى من شأنه وذكره بأن اختار بيته من دون بيوتات المسلمين في المدينة المنورة، ليكون أول منزل يقيم فيه الرسول - صلى الله عليه وسلم - بعد الهجرة إليها من مكة، ولعدله وتقاه كان من الذين جمعوا القرآن الكريم، ودعا له الرسول - عليه الصلاة والسلام. ويقول الشيخ منصور الرفاعي عبيد - وكيل وزارة الأوقاف المصرية لشؤون الدعوة سابقاً - هو خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة بن عوف بن غنم بن مالك بن النجار بن ثعلبة بن عمرو الأنصاري الخزرجي، وكنيته أبو أيوب، وأمه هند بنت سعيد بن عمرو بن بني الحارث بن الخزرج وهو من السابقين، وأسلم قبل هجرة النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى المدينة، وشهد بيعة العقبة الثانية، ولما دخل النبي - صلى الله عليه وسلم - المدينة قادماً من مكة مهاجراً خصه بالزول عليه في بني النجار، ومكث في ضيافته سبعة أشهر كاملة إلى أن اكتمل بناء مسجده الشريف، ومن حوله حجراته التي انتقل إليها - صلى الله عليه وسلم - مع نسائه أمهات المؤمنين - رضي الله عنهن - فأصبح جاراً لأبي أيوب، وأخي الرسول - صلى الله عليه وسلم - بينه وبين مصعب بن عمير، ولما نقبه أحبه الرسول الكريم حباً أزال الكلفة فيما بينه وبينه، وقربه من مجلسه.

حياؤه

وذكرت كتب السير الثقات أنه كان أحد الأنصار الخمسة الذين جمعوا القرآن الكريم، وعده من كتبة الوحي القرآني، وقال محمد بن كعب القرظي: «جمع القرآن في زمن النبي صلى الله عليه وسلم خمسة من الأنصار هم معاذ بن جبل وعبادة بن الصامت، وأبي بن كعب، وأبو أيوب، وأبو الدرداء».

وعرف بشدة حبه وحياؤه وتعلقه بالرسول - صلى الله عليه وسلم - ويحكى أنه لما استضاف الرسول - عليه الصلاة والسلام - أظلى الطابق العلوي من منزله لينزل فيه رسول الله، لكن النبي الكريم أراد أن ينزل في الطابق السفلي، فامتثل أبو أيوب لأمره وأنزله حيث أحب، وصعد أبو أيوب إلى الدور العلوي، ولكنه لم يند تلك الليلة، لأنه لم يستطع أن يتخيل نفسه وهو نائم في مكان أعلى من المكان الذي بنام فيه الرسول - صلى الله عليه وسلم - وفي الليل سال الماء في غرفته، فقام هو وزوجته أم أيوب بظفانها بغطيفة كانا يتخذانها لحافاً خضية أن يصل إلى الرسول - صلى الله عليه وسلم - منه شيء، وفي الصباح ذهب أبو أيوب إلى النبي - عليه الصلاة والسلام - وأخذ يلخ عليه ويرجوه أن ينتقل إلى الطابق العلوي، فاستجاب النبي - صلى الله عليه وسلم - لرجائه.

وكان من أكثر الناس جوداً وكرماً وبذلاً، وذكر أنه ذات يوم خرج أبو بكر - رضي الله عنه - بالظهيرة إلى المسجد فراه عمر - رضي الله عنه - فقال: يا أبا بكر ما أخرجك هذه الساعة؟ قال: ما أخرجني إلا ما أجد من شدة الجوع، فقال عمر: «وأنا والله ما أخرجني غير ذلك، فبينما هما كذلك إذ خرج عليهما رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: ما أخرجكما هذه الساعة؟ قال: والله ما أخرجنا إلا ما نجد في بطوننا من شدة الجوع، قال عليه الصلاة والسلام: «وأنا ما أخرجني غير ذلك، فوما معي»، فانطلقوا فأثروا باب أبي أيوب الأنصاري، فلما سمع أبو أيوب صوت النبي - صلى الله عليه وسلم - أقبل مسرعاً مرحباً بالرسول وبمن معه، ثم انطلق أبو أيوب إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - وقال لأبي أيوب: «اللتنا الله - ولما ذهب أبو أيوب إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - أعطاه جارية كانت تخدمه، وقال له: «استوص بها خيراً يا أبا أيوب فإننا لم نر منها إلا خيراً ما دامت عندنا»، عاد أبو أيوب إلى بيته ومعها الجارية، فلما رأته زوجته سألته من أين أتى بها؟ فقال لها أعطاني إياها رسول الله وأوصاني بها خيراً، فقالت وكيف صنعتها حتى نفذ وصية رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: والله لا أجد لأوصية رسول الله بها خيراً من أن أعطيها، فقالت أحسنت صنعا.

ومن شدة حبه للنبي - صلى الله عليه وسلم - وخوفه عليه، كان يجرسه في كثير من المواقف، وذكر الواقدي أنه لما دخل الرسول - صلى الله عليه وسلم - بأم المؤمنين صفية بنت حيي بن أخطب بن سعية، من سبط اللاوي بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل، بات أبو أيوب على باب النبي - عليه الصلاة والسلام - فلما أصبح، فرأى رسول الله كبر، ومع أبي أيوب السيف، فقال: يا رسول الله، كانت جارية حديثة عهد ببعرس، وكانت تقتل أباهم وأخاهم وزوجها، فلم آمنها عليك، فضحك النبي - صلى الله عليه وسلم - وقال له خيراً، وقيل: قال له: «حرسك الله حياً وميتاً».

صفاته

كان - رضي الله عنه - شجاعاً مقداماً ورعاً محباً للجهاد في سبيل الله، وشهد بدرًا، وأحداً، والخندق، وسائر المغازي والمشاهد مع الرسول - صلى الله عليه وسلم - وحتى بعد وفاة النبي - عليه الصلاة والسلام - لم يتخلف عن غزوة كتب للمسلمين أن يخوضوها إلا غزوة قد أمر فيها على الجيش شاب لم يقتنع أبو أيوب بإمارته.

وعندما وقع الخلاف بين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - ومعاوية ووقف أبو أيوب - رضي الله عنه - مع علي في حروبه لأنه الإمام الذي أعطي بيعة المسلمين، ولما استشهد علي - رضي الله عنه - تآق للجهاد والشهادة في سبيل الله، وكان في مقدمة الجيوش التي خرجت بقيادة يزيد بن معاوية لحرب الروم وفتح القسطنطينية، ولم تمنعه سنه التي تجاوزت الثمانين عاماً، من تلبية نداء الجهاد وفي هذه المعركة أصيب إصابة قاتلة، وقيل مرض، ولما عاد يزيد بن معاوية، وسأله عن حاجته، طلب إذا مات أن يحمل جثمانه فوق فرسه ويمضي به إلى أبعد مسافة ممكنة في أرض العدو، ويدفونه تحت أقدامهم عند أسوار القسطنطينية، مرغية منه في أن يسمع صوت حوافر خيول المسلمين فوق قبره، فيدرك أن جيش المسلمين قد حقق النصر.

ولفظ رضي الله عنه أنفاسه الأخيرة الطاهرة عام 52 هـ - 672م، وأنجز يزيد وصيته فحملوه على ظهور جيادهم، حتى إذا بلغوا أسوار القسطنطينية حفروا له قبراً واوروه الثرى.